أهمية التعليم في حياة الأفراد والشعوب في ضوء الفقه الإسلامي

فالح حماده كاظم اهزيم
طالب دكتوراه، قسم علوم القرآن والحديث، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة قم، إيران
hamadafalih67@gmail.com
الدكتور غلامحسين أعرابي
أستاذ مشارك، قسم علوم القرآن والحديث، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة قم، إيران
g.arabi@qom.ac.ir
الدكتور السيد رضا مؤدب
أستاذ، قسم علوم القرآن والحديث، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة قم، إيران
Reza@moaddab.ir

The Importance of Education in the lives of Individuals and Peoples in the light of Islamic Jurisprudence

Falih Hamada Kadhim Ihzayim
Department of Qur'an and Hadith sciences Faculty of Theology and Islamic Studies, University of Qom, Qom, Iran
Dr.GholamHussein A'rabi (Responsible Author)
Associate Professor, Department of Qur'anic and Hadith sciences, Faculty of Theology and Islamic Studies, Qom University, Qom, Iran
Dr. Reza Mo'addab
Professor, Department of Qur'an and Hadith sciences Faculty of Theology and Islamic Studies, University of Qom, Qom, Iran

الملخص:-

إذا درسنا المبدأ والمنهج الذي اتبعه القران الكريم في دعوته لعقيدة التوحيد وفي تربيـة المـؤمنين وغـرس المبـادئ والقيم الإنسانية والإسلامية في نفوسهم لاستطعنا ان نستلخص من هذا المنهج بعض المبادئ العامة لعملية التعليم التي اسـتخدمها القـران الكـريم في تغـيره لسـلوك المـؤمنين وفي تعلـيم العقائـد والقـيم الإسـلامية وقـد وظـف القـران الكـريم بالأحـداث الـتي كانـت تمـر بالمسلمين لتعليمهم بعض العبر المفيده في حياتهم، ويهدف البحث إلى البحث في الجوانـب التربويـة والنفسـية لعمليـة التعلم والتعليم واثر التعلم والتعليم في المعرفـة الحقيقـة المطلقـة واثـر الـتعلم والتعليم في الميل إلى الحقيقة المطلقة، أما مـنهج البحـث المعتمـد فهـو المـنهج الوصفي التحليلي.

الكلمـات المفتاحيـة: القـرآن الكـريم، السـنة النبويـة، الأفـراد والشـعوب، الأحكام الشرعية.

Abstract:-

If we study the principle and methodology followed by the Holy Qur'an in its call to the Doctrine of Monotheism, in educating believers ,instilling human and Islamic principles and values in their souls, wse can extract from this methodology , some of general principles of Education process used by the Holy Qur'an to change the behavior of believers and in teaching Islamic beliefs and values. The Holy Qur'an made use of the events that Muslims went through to teach them some useful lessons in their lives. The research aims to investigate the educational and psychological aspects of the learning and teaching process, the effect of learning and teaching on absolute true knowledge, and the effect of learning and teaching on the tendency toward the absolute truth. The adopted research methodology is the descriptive analytical methodology.

Keywords: the Holy Qur'an, the Prophet's Sunnah, education, Islamic jurisprudence, individuals and peoples, Sharia rulings.

المقدمة:

لا شك أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له، ولا طريق لعبادة الله تعالى على وجه الحق إلا بالعلم الشرعي، فهو سلم الوصول إلى الله تعالى، والطريق الأمثل إلى جنة الخلد وملك لا يبلى، فالعلم سبيل الوصول إلى رضا الله تعالى، والعلم نبراس يضيء للناس طريقهم، والعلم شرف فوق رؤوس العلماء، به يخشى الخلق ربهم، به يتقونه سبحانه، به يتركون الحرام، ويهجرون المعاصي والذنوب مهما صغرت أو كبرت.

وتحصيل العلم الشرعي طريق موصل إلى معرفة ما فرض الله على عباده، وما أحل لهم، وما حرم عليهم، فإذا حُرم المرء العلم، وصرفه هواه والشيطان عن طلبه وتحصيله، بقي جاهلاً، وكان من السهل على شياطين الإنس والجن إضلاله وغوايته، والخروج به عن منهج الله تعالى، ومنهج رسوله ﷺ، فبالعلم يعرف العبد ربه، فيعبده ويطيعه، ويستقيم على أمره، وبالجهل يضل ويزيغ ويعبد الشيطان.

تم تقسيم البحث إلى مبحثين تناولنا في المبحث الأول التعريف بمفاهيم الموضوع وبيان أهمية التعليم وفي المبحث الثاني أهمية التعليم في حياة الأفراد والشعوب في ضوء القران الكريم والسنة الشريفة وفي المبحث الثاني احكام التعليم في كتب الفقه ثم الخاتمة فالمصادر.

أما اهم المصادر التي تم الاعتمام عليها فهي تفسير الامثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، وتفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي.

أما المنهج المعتمد في كتابة هذا البحث فقد تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي في كتابة البحث.

المبحث الأول

التعريف بمفاهيم الموضوع وبيان أهمية التعليم

المطلب الأول: التعريف بمفاهيم الموضوع

أولاً: تعريف التعليم

التعليم لغة مصدر الفعل علم، يقال: علّمه العلم والصنعة تعليما، أي: جعله يتعلمها، وأعلمه إياه فتعلم، وعلم يعلم علما نقيض جهل[1].

والعلم اليقين يقال علم يعلم إذا تيقن، وجاء بمعنى المعرفة أيضاً كما جاءت بمعناه ضمن كل واحد معنى الآخر لاشتراكهما في كون كل واحد مسبوقا بالجهل لأن العلم وإن حصل عن كسب فذلك الكسب مسبوق بالجهل، قال تعالى في سورة المائدة الآية ٨٣ ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾، أي علموا، وقال تعالى في سورة الأنعام الآية ٦٢ ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾، أي لا تعرفونهم الله يعرفهم [٢].

أما التعليم اصطلاحا (هو تنبيه النفس لتصور المعاني، والتعلم تنبه النفس لتصور ذلك، وربما استعمل في معنى الإعلام، لكن الإعلام اختص بما كان بأخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم)[٣].

ويعرف كذلك بأنه (فرع من التربية يتعلق بطرق التدريس)[٤].

من هذا نلاحظ أهمية مناهج التعليم في اعداد الأفراد وكي تجعل منهم مواطنين يعيشون في الحاضر ويستعدون للمستقبل في ذات الوقت، وهكذا فأن مناهج التعليم في الوطن العربي هي أداة حقيقة في تربية المواطن العربي المؤمن بربه ودينه ووطنه والقادر على المشاركة في صناعة المستقبل[٥].

أما على العكس من ذلك أي في حالة إذا كانت مناهج التعليم مناهج قاصرة عن اعداد الأفراد اعداد صحيحاً أو أنها لم تتعرض للتجديد حتى تعاصر المجتمع وتكون قادرة على أن تواجهه مشكلاته، فبالتالي فأن المناهج التعليمية سوف تكون احدى مسببات الكثير من المشاكل التي تواجهه المجتمع، فقد تؤدي إلى خلق أفكار متطرفة أو أفكار طائفية أو احقاد بين بعض طبقات المجتمع أو بين طائفة وأخرى، وبالتالي مجتمع متخلف تسوده الفوضى والاضطراب وانعدام الأمن، هذا يبين ان المؤسسات التعليمية ومناهجها الدراسية قادرة على ان تجعل من المجتمع مجتمعاً مثقفاً ومتطوراً أو مجتمع مضطرب، ومن خلال ذلك نكون أمام احدى وسائل صناعة الأفكار المنحرفة وأنماط وأساليب الإرهاب الفكري[٦].

ثانياً: تعريف الفقه الإسلامي

الفقه في اللّغة: الفهم، ويقال فَقِهَ الرجل، وفلان لا يَفْقَه ولا يَنْقَه. والعالم به فقيه، وفاقهته إذا باحثته في العلم[٧]. ويقال: فقه فلان عني ما بيَّنْتُ له.. يفقه فقهًا إذا فهمه[٨].

وقد استُعمل اللفظ في القرآن الكريم بهذا المعنى، في قوله تعالى: ﴿...لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا...﴾ (سورة الأعراف، ١٧٩) وقوله تعالى: ﴿...وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ...﴾ (سورة الإسراء، ٤٤) أي لا تفهمونه.

قال ابن فارس: الفقه، يدل على إدراك الشيء والعلم به تقول: فقهت الحديث أفقهه، وكل علم بشيء فهو فقه[٩].

الفقه في الاصطلاح: استُعمل لفظ الـ (فقه) كمصطلح للعلم الذي يهتم بدراسة الأحكام الشَّرعية، وعُرِّف بأنه: «**العلم بالأحكام الشّرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية**»[١٠]. وهو في مقابل التقليد، والأدلة الشَّرعية هي الكتاب والسنة والعقل والإجماع[١١].

إلاّ أنَّ هناك مَن يرى أنَّ اللفظ استُعمل في الأعم من العلم بأحكام الشَّريعة الفرعية، كما أنَّ الفقهاء «كانوا يصدّرون كتبهم الفقهية بمباحث اعتقادية ومطالب كلامية، ومع هذا تدرج مؤلفاتهم ضمن المجاميع الفقهية»[١٢].

ويؤيد ذلك وروده في القرآن الكريم بمعنى التبصر بأمور الدين؛ كما في قوله تعالى: ﴿... فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (سورة التوبة، ١٢٢)

اختلفت عبارات اللغويين في تعريف الإسلام وإن اتفقوا على معناه العام في اللغة، فقال ابن منظور في لسان العرب عن معنى الإسلام لغةً هو: الاستسلامُ والانقيادُ، يُقالُ فلانٌ مُسلمٌ أي: مُستَسلمٌ لأمرِ الله[١٣].

وقال الفيروز آبادي في القاموس المحيط: أسلم، انقاد وصار مسلما[١٤]. وقال الرازي: وأسلم أمره إلى الله أي سلَّم، وأسلم دخل في (السلَم) وهو الاستسلام و(أسلم) من الإسلام[١٥].

يعرف الإسلام في الاصطلاح بأنه: ((الاستسلامُ لله لا لِغَيرِه، بِأن تَكُونَ العبادةُ والطاعةُ لَهُ والذلُّ، وهو حَقيقةُ لا إله إلا الله))[١٦].

يقول الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) في ذلك: «والفقه الإسلامي فهم موجبات المعنى المضمنة بها من غير تصريح بالدلالة عليها، وصار بالعرف مختصًا بمعرفة الحلال والحرام،

وما طريقه الشَّرع»[١٧]..

أما الشهيد الثاني فيرى أنَّ المراد من هذا الفقه الإسلامي «الذي يحصل به الإنذار غير هذا العلم المدون، ... وإنما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق إلى الله تعالى، وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة، ... ومن ثم كان العلم موجبًا للخشية، بل هي منحصرة في العالِم كما نبّه عليه تعالى بقوله: ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...﴾ (سورة فاطر، ٢٨) أعم من أن يكونوا فقهاء أو غير فقهاء»[١٨].

فإن الخشية والإنذار إنما يترتب على علوم الآخرة لا هذه العلوم الرسمية[١٩] وهو فهم أدق من فهم الأحكام الشَّرعية.

المطلب الثاني: أهمية التعليم في حياة الأفراد والشعوب في ضوء القران الكريم والسنة الشريفة

العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظُّلَم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، والتفكّر فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام، وبه يعرف الحلال من الحرام، وهو إمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء[٢٠].

وللعلماء مكانة في الدين لا تنكر ولهم فضل كبير، فقد جاءت نصوص الشرع متوافرة متعاضدة تعزز مكانتهم وتبين فضلهم فهم من شهود الله على أعظم مشهود به[٢١]، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ (سورة آل عمران: ١٨).

ووعد الله من أطاعه وأطاع رسوله بأن يدخله الجنة ليرافق الأنبياء والعلماء والشهداء في سبيله[٢٢]، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩)، ورفعهم الله درجات فقال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١).

وأمر الله سبحانه نبيه محمداً بطلب الازدياد من العلم فقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (سورة طه: ١١٤)، فهذه الآية واضحة الدلالة في فضل العلم لأن الله تعالى لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم، والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما

يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته والعلم بالله وصفاته وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه[٢٣].

وفي السنة النبوية حشد من النصوص المذكرة بفضل العلماء وعلو درجتهم، عن رسول الله ﷺ قال: (إن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء)[٢٤].

والعلم يَستوجب الإخلاص وتجنُّب الرياء والمفاخرة أمام الناس؛ فالقصد من طلَبِ العلم هو عِبادة الله تعالى، والعمل به، وتبليغه للغير، دون طلب للشُّهرة أو بحث عنها، فعن رسول الله ﷺ: (مَن طلَب العلمَ ليُجاري به العلماءَ، أو ليُماري به السُّفَهاء، أو يصرِف به وجوهَ النَّاس إليه - أدخله اللهُ النَّارَ) [٢٥].

إن منهج القرآن الكريم في تعليم الإنسان يرتكز بشكل أساسي على الإيمان الصادق بالله تعالى وبصفاته وهي تشكل النواة التي تنطلق منها كل المفاهيم والمناهج والأساليب، فنظرة الإنسان إلى الكون والحياة ومفاهيمه عنها تنطلق من هذه النواة، وتحديده لأهدافه ومهامه في الحياة ينطلق منها، وتنظيم كل العلاقات مع الله ومع نفسه ومع المجتمع ينطلق منها أيضاً، وضبط عمله وفق قيم ومعايير معينة ينطلق منها وإعماره للأرض ينطلق منها واستعداده للآخرة ينطلق منها أيضاً[٢٦].

فما من فكر ولا عمل إلا ويتصل مباشرة بهذه العقيدة. والامتثال لهذه العقيدة وتفعيل أثرها يتطلب من الإنسان التوجه إلى الخالق العظيم والمنعم على الوجود بجليل النعم، بالعبادة والحمد والشكر. كما يتوجه إليه بالتسليم والاحتكام إليه فله سبحانه وتعالى الخلق والأمر وهو خير الحاكمين، ومما يلازم هذه العقيدة الصادقة العمل الجاد الصالح الخالص لوجه الله فالإخلاص لله في الاعتقاد وفي التوجه وفي العمل يمثل درجة الإحسان التي أكد عليها القرآن في أكثر من موقع وأحسن كما أحسن الله إليك[٢٧].

إن الأسلوب القرآني في التعليم دعا الناس قبل كل شيء إلى مشاهدة ما في الآفاق وفي انفسهم من آيات الله سبحانه وآثار حكمته ومظاهر قدرته وان يعملوا فيها الفكر والروية[٢٨]، قال تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (سورة فصلت، الآية ٥٣).

فالإشارة والدلالة في الآية الكريمة تنبه على انكم ايها الناس لستم من القوة والعظمة بحيث من الممكن لكم ان تروا رأي العين ما لا يأتي تحت حواسكم، أو تعرفوه على حقيقته بالاعتماد على تجربة من تجاربكم، غير انكم إذا فتحتم اعينكم، ورأيتم آيات الله وآثار حكمته، ومظاهر قدرته الماثلة امام اعينكم ليل نهار، وتذكرتم مع ذلك حتى في خلقكم وانفسكم وبذلتم جهودا مخلصة للوصول إلى الحقيقة بالتأمل في كل هذه المحسوسات والمرئيات، فانه لا بد ان يتبين لكم العقيدة الحق الاولى بالاتباع ولمن تستحق العبادة والتذلل والخضوع[٢٩].

لم تحظ مهنة التعليم بمزيد من العناية حتى جاء **الإسلام** برسالة التوحيد والعلم والأخذ بأسباب القوة، فكانت مهنة التعليم وسيلة عظيمة لكل التشريعات الجديدة من جيل إلى جيل، وتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، فبدأت بمعلمها الأول، الرسول الأعظم ﷺ والذي جاء لينشر الدين الجديد و ليعلم الناس أمور دينهم ودنياهم[٣٠].

العلم بمعناه الشامل هو أن نعرف الشيء كما هو في حقيقته وواقعه ولا وزن لأي علم إلا أن يجلب نفعاً، أو يدفع شرّاً تماماً كما قالوا عن العقل. لأن العلم عقل، والعالم هو العاقل[٣١]، قال العالم والفيلسوف جابر بن حيّان تلميذ الإمام الصادق عليه السلام: العقل والعلم والنور كلمات مترادفة فالعالم يعقل الأمور ويميز بين صحيحها وسقيمها ولا يستطيع أن يسكب علوماً بدون العقل، وبالعقل يتمكن العالم من كشف الأمور الغامضة وإخراجها من الظلام فيوضحها بنور عقلهأما الجهل بالشيء مع العلم به هو أننا لا نتصوره إطلاقاً[٣٢]. والجهل بالعلم هو تصور الشيء على غير ما هو عليه من حيث لا نحس ونشعر بالخطأ فنكون عندها بعيدين عن الواقع.

جاء في نهج البلاغة: (لا خير في علم لا ينفع) [٣٣] وجاء في سفينة البحار: عن الإمام الكاظم عليه السلام: (أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلا به) [٣٤] والغاية من هذا أن الهدف من العلم إتقان العمل النافع. قال الرسول الأكرم ﷺ: (من أراد العمل منكم فليعلمه وليتقنه)[٣٥].

قال بعض الحكماء: العمل بلا علم كشجرة بلا ثمروقال الإمام الصادق عليه السلام: (العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، لا تزيده سرعة السير إلا بعداً) [٣٦] فإذا كان العلم مرادفاً للنور فكيف لهذا الجاهل أن يستدل على طريقه وهو فاقد النور؟

وهنا نتذكر وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام عندما قال له: يا هشام: (إن ضوء الجسد في عينه، فإن كان البصر مضيئاً استضاء الجسد كله، وإن ضوء الروح العقل، فإن كان العبد عاقلاً كان عالماً بربّه، وإن كان عالماً بربّه أبصر دينه، وإن كان جاهلاً بربّه لم يقم له دين، وكما لا يقوم الجسد إلا بالنفس الحيّة فكذلك لا يقوم الدين إلا بالنية الصادقة، ولا تثبت النية الصادقة إلا بالعقل) (٣٧).

إن أهم ما يدعو إليه الانبياء هو طلب العلم والمعرفة، وقد أعلنوا عداءهم للجهل أينما كان، وإضافة إلى أن القرآن الحكيم استغل الكثير من المناسبات كي يوضح هذا الأمر، كما وردت في الروايات الإسلامية أحاديث تصور عدم وجود شيء أفضل من العلم(٣٨).

و بالرغم من أن " الشهيد " في الإسلام يتمتع بمقام سام جداً، إلا أننا تقرأ حديثاً للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يبين لنا فيه مقام أهل العلم حيث قال: " فضل العالم على الشهيد درجة، وفضل الشهيد على العابد درجة.. وفضل العالم على سائر الناس، كفضلي، على أدناهم "(٣٩). وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ((من جاءته منيته وهو يطلب العلم فبينه وبين الأنبياء درجة))(٤٠).

المبحث الثاني

أحكام التعليم في كتب الفقه

أولاً: فضل العلم

جعل الإسلام للعلم مكانة عالية لا تدانيها مكانة، ويكفي دليلاً على ذلك أن أول آية نزلت من القرآن الكريم تأمر بالقراءة، وفي ذلك دعوة إلى العلم والمعرفة. كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعل طلب العلم فريضةً على كل مسلم، وبين أن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وأنّ العلم هو ميراث الأنبياء ومن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر(٤١).

ولاشك في أنّ العلم هو أفضل ما رغب فيه راغب وأفضل ما طلبه طالب، لهذا فإنّ الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تحدثت عن فضل العلم والعلماء كثيرة، كما أنّ الإسلام في حثه على طلب العلم اهتم بتوضيح أن طلب العلم يستلزم التأدب بآداب سامية والتحلي بأخلاق رفيعة. أنّ العلم رفعة وشرف للإنسان في دنياه وأخراه، فمن كان

من أهل العلم رفعه الله في الدارين، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة/ ١١). وفضلُ العالم على الجاهل معلوم ولا شك فيه، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر/ ٩)، فحكم الله سبحانه وتعالى بعدم المساواة بينهما(٤٢).

ومن فضل العلم أنّه صفة من صفات الله، سبحانه وتعالى، فهو بكل شيء عليم وعالم الغيب وعلام الغيوب، وعلمه سبحانه وتعالى علم مطلق لا تخفى عليه خافية. وأشهد الله سبحانه نفسه وملائكته وأولي العلم عل وحدانيته، وهذا دليل على علو شأن أولي العلم ورفعة مكانتهم(٤٣)، قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران/ ١٨).

وقد صح عن النبي ﷺ أنّه قال: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"(٤٤)، ولكن يجب أن نعلم أن هناك من العلوم ما يكون طلبه فرض عين على المُكَلَف وهو ما يحتاج إليه في يومه وليلته من أحكام الطهارة والصلاة والبيع والشراء والحلال والحرام، وقد يصبح العلم التخصصي فرضاً على من تخصص فيه لقيام فرض الكفاية به(٤٥).

وأما ما يكون حكمه فرض كفاية فهو ما زاد على العلم الضروري من سائر العلوم الشرعية والدنيوية، فتخصص العلماء في العلم الشرعي فرض كفاية على الأُمّة، فيجب أن يكون فيها علماء متخصصون في كل العلوم الشرعية ليكونوا مرجعاً للناس في ما أعضل عليهم واحتاجوا إليه. (٤٦)

وكذلك سائر العلوم الدنيوية هي فرض على الكفاية، فيجب أن يكون في كل علم علماء متخصصون فيه لحاجة الأُمّة إليهم، كعلم الطب والهندسة وسائر العلوم. وهناك من العلوم ما هو محرم كالسحر والشعوذة وما شابههما من العلوم الضارة، فلا تجوز دراستها ولا تعلمها ولا تعليمها ولا شراء كتبها ولا بيعها.

ثانياً: توفير أجواء التعلم

العلم تركة الأنبياء وهو سبب موصل إلى الجنة، يقول رسول الله ﷺ: "مَن سَلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها

لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإنّ العالم ليستغفر له مَن في السماوات ومَن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء وإنّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم فمن أخذه بحظ وافر"[٤٧].

وفي العلم تزكية للنفوس وتهذيب للطباع وتشذيب للأخلاق، ولهذا فقد قرن الله سبحانه بين العلم والتزكية في أعمال النبي ﷺ فقال عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران/ ١٦٤). والعلم سبب لخشية الله تعالى، لأنّ العلم يدفع صاحبه إلى خشية الله والخوف منه، قال تعالى: ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر/ ٢٨)

ثالثاً: المعلم وتأديب الصبيان

الاجتهاد في طلب العلم واجب، فلا يُنال العلم بالكسل والتراخي والخمول، بل لابدّ من العزم القوي والدأب في طلبه وتحصيله، وإنما تفاوتت أقدار طلاب العلم بقدر اجتهادهم، وكما قيل: لكل مجتهد نصيب. ولابدّ لطالب العلم أن يكون حريصاً على هذا الأمر العظيم الذي طلبه ولا يهمله أو يضيعه، فكثير من طلاب العلم يسعى أول الأمر ويحصل شيئاً من العلم، بل ربما الكثير منه، لكن بإهماله قد يضيع منه كل هذا الكنز الذي جمعه. والعلم لا يُنال بيوم وليلة، بل لابدّ من طول الزمن الذي هو ضروري لإدراك غور العلوم والغوص على دقائقه، فقد يستعجل البعض ويريد أن يبلغ درجة العلماء بسرعة الضوء وهذا غير ممكن، لأنّ العلم يُنال بالتدريج وكلما استمر في طلبه وطال زمن دراسته انفتح له من العلوم ما لم يكن يتوقع، ولا يزال يتعلم حتى يفارق الدنيا[٤٨].

رابعاً: أنواع التعليم

ومن أصول طلب العلم أن يؤخذ عن أهله، ولابدّ من الدراسة على أيدي العلماء، فلا يستطيع الإنسان، مهما بلغ في ذكائه، أن يستغني عن المعلم الذي يفتح له المغاليق من المسائل.

ومن آداب العلم وجوب احترام العلماء وتوقيرهم ومعرفة حقهم وفضلهم، وينبغي الإشادة بفضلهم والإقرار بعلمهم. وعلى طلاب العلم ترك التحاسد بينهم ويجب عليهم أن

يتعاونوا بينهم، وعلى العلماء أن يرفقوا بالمتعلمين ولا يأخذوهم بالشدة، وعلى العالم أن يبث العلم وينشره ويحرص على إيصال العلم النافع إلى الخلق لتستقيم أحوالهم الدينية والدنيوية[٤٩].

كما إنّ للعلم آثاراً بالغة في حياة الشعوب والأشخاص والأُمم، فهو سبب في التقدم والحضارة وبناء الإنسان وبناء الأكوان، فما سادت أمة من الأُمم إلا بالعلم، وهذا أمر غاية في الوضوح ولا يحتاج إلى براهين. ومن بركة العلم أنّه ينفع صاحبه حتى بعد موته بآلاف السنين، ويجري له ثوابه إلى يوم القيامة، فيؤجر العالم في حياته وبعد وفاته، يقول رسول الله ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له". [٥٠]

وخلاصة الموضوع أنّ العلم له فضائل ظاهرة وأجره عظيم عند الله لمن أخلص النية في طلبه، وأنّ العلم أساس في الحضارة والتقدم والرقي وأن طالب العلم لابدّ له من التأدب بآداب العلماء العاملين، وهي الإخلاص والاجتهاد في طلبه والاستمرار في الدراسة، وتوقير العلماء واحترام من أفاده بمعلومة وإن صغرت، والإشادة بفضل العلماء من أدب العلم، وعدم جواز الطعن في العلماء ولا انتقاصهم، وأن يحرص على الحوار العلمي الهادف الهادئ الذي يحقق الهدف بلا مشاحنات ولا مناكفات.

النتائج:

ونستنتج مما تقدم عدة أمور أهمها:

١. طلب العلم يوصل إلى معرفة الله وإفراده بالألوهيّة والعبادة، كما أنّ المسلم من خلال طلبه للعلم والإمعان في مظاهر قدرة الله في مخلوقاته سيصل إلى توحيد الله وتنزيهه عن جميع صفات النقص والخلل فالناظر في الكون وجزئياته وتفاصيله وإبداع صنعه سيظهر له قدرة الله في خلقه وإحسانه في تدبير أموره؛ ممّا ينفي عنه الشريك والمثيل

٢. طلب العلم أساسُ الوصول إلى صحةِ الاعتقادِ وتمام العباداتِ؛ من خلال معرفة ما يجب وينبغي على المسلم القيام به، وما ينبغي عليه الانتهاء عنه. طلبُ العلمِ عبادةٌ موصلةٌ إلى رضى الله ورسوله.

٣. بطلب العلم ينال المسلم ويكسبُ خشية الله ومخافته، ويوصله علمه إلى التواضع للخَلق ولين الجانب لهم وبسط يد الرحمة والمحبة بينهم

٤. طلب العلم الشرعي دليلٌ على خيريّةِ العبدِ، وأنّ الله قد اصطفاه بأن يسّر له طلب العلم؛ خصوصاً علم الفقه وسائر العلوم الشرعية الأخرى على وجه الخصوص

٥. لم يترك الإسلام أمراً إلا بيّن حكمه الشرعي وفصّل فيه؛ لذلك فقد تكلّم العلماء في حكم طلب العلم سواء كان المقصود بذلك العلم الشرعي أو غيره من العلوم، ويجدر الإشارة إلى أنّ الحكم الشرعي للعلم يصدق على جميع أنواع الأحكام التكليفية الخمسة التي هي الفرض والسنّة والاستحباب أو الندب والإباحة والكراهية والتحريم

هوامش البحث

(١) ينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب - مصر، ١٩٨٧م، ص٤٣٤

(٢) ينظر: لويس معلوف، المنجد في اللغة، دار العلم، بيروت، ٢٠٠٢م ص ٢٥٦

(٣) وليد عبد الحميد خلف، الحقوق الفكرية في الديانات السماوية والتنظير الوضعي، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٤، ص٢٦٥ -

(٤) الجرجاني، التعريفات، دار الكتاب، بيروت، ٢٠٠٩، ص٣٤

(٥) المصدر نفسه ص ١٠٠.

(٦) ينظر:وليد عبد الحميد خلف، الحقوق الفكرية في الديانات السماوية والتنظير الوضعي، مصدر سابق، ص٢٦٥.

(٧) الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٦ ص٤٥

(٨) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٣ ص٥٢٢.

(٩) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ج ٤ ص٤٤٢.

(١٠) الشهيد الأول: أبو عبد الله محمد بن مكي العاملي (ت: ٧٨٦هـ)، القواعد والفوائد، تحقيق: عبد الهادي الحكيم، منشورات مكتبة المفيد، قم، ١٩٩٩، ج ١ ص٣٠.

(١١) المظفر: محمد رضا (ت: ١٣٨٣هـ)، أصول الفقه، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ٢٠٠٧، ج ١ ص٥.

(١٢) الوحيد البهبهاني: العلامة محمد باقر (ت: ١٢٠٥هـ)، الرسائل الفقهية، تحقيق: مؤسسة العلامة المجدد الوحيد البهبهاني، منشورات مؤسسة العلامة المجدد الوحيد البهبهاني، أمير، ط١ ١٤١٩هـ، ص٣.

(١٣) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢ ص ٢٩٣.
(١٤) ينظر: الفيروزابادي، القاموس المحيط ج ٤ ص ١٨٣.
(١٥) الرازي، مختار الصحاح، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٢ ص ١٣١.
(١٦) الموسوي، محسن، دراسات في العقيدة الإسلامية، دار الباقر، بيروت، ٢٠١٣م ص٢٣٩.
(١٧) الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير، مكتب الإعلام الإسلامي، ط١ (١٤٠٩هـ)، ج ٥ ص٣٢٢.
(١٨) الشهيد الثاني: زين الدين بن علي العاملي (ت: ٩٦٦هـ)، مُنية المريد في أدب المفيد والمستفيد، تحقيق: رضا المختاري، مكتب الإعلام الإسلامي، ط١ (١٤٠٩هـ)، ص١٥٧.
(١٩) يوسف البحراني (ت: ١١٨٦هـ)، الحدائق الناضرة، تحقيق وتعليق: محمد تقي الإيرواني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة، ج ١٠ ص٦٤.
(٢٠) ينظر: البقري، أحمد ماهر، دراسات في القرآن، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٤٠٢ هـ -١٩٨٢م. ص ١٨٨.
(٢١) ينظر: محمد تقي المدرسي، بحوث في القرآن الحكيم، دار محبي الحسين عليه السلام، طهران - إيران، ط١، ٢٠٠٠م، ١٤٢٠هـ. ص٢٤
(٢٢) ينظر: المدرسي، محمد تقي، من هدى القرآن، دار الهدى، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ ، ص٢٠٠
(٢٣) الحسيني، محمد، مطارحات في قضايا إسلامية، دار الملاك، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص١٠١.
(٢٤) القمي، عباس بن محمد رضا (ت، ١٣٥٩هـ)، سفينة البحار، الطباعة والنشر المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٨٩هـ:ج٣ ص ٥٩
(٢٥) الحراني، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة (١٣١٣هـ)، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠١٢م، ص١٢١
(٢٦) ينظر: د.حسن فضل الله، المدرسة في الإسلام، دار الهادي، بيروت، ٢٠١٢م، ص٢٥١.
(٢٧) ينظر: د.حسن فضل الله، المدرسة في الإسلام، ص٢٥١.
(٢٨) ينظر: الطباطبائي: محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م: ٦ / ٣٥٨
(٢٩) ينظر: فضل الله: محمد حسين، من وحي القران، دار العلوم، بيروت، ٢٠٠٩:٩ / ١٦٥
(٣٠) د. محمد علي حبيب الموسوي، المناهج الدراسية المفهوم - الابعاد - المعالجات، ط١، دار ومكتبة البصائر، بيروت - لبنان، ٢٠١١ ص ٩٩
(٣١) ينظر: اسماعيل الصدر، محاضرات في تفسير القرآن الكريم، تح: سامي الخفاجي، دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٤م ص ١٨٣
(٣٢) ينظر: اسماعيل الصدر، محاضرات في تفسير القرآن الكريم، ص١٨٤

(٣٣) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار الاعلمي، بيروت، ٢٠٠٩، ج٢ ص ٢٢٣
(٣٤) القمي، سفينة البحار، ج٥ ص ١٧٧
(٣٥) اسماعيل الصدر، محاضرات في تفسير القرآن الكريم، ص١٨٧
(٣٦) النوري، حسين الطبرسي (ت١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، التحقيق والطباعة والنشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ايران، ١٤١٢هـ، ج٦ ص١٠٢
(٣٧) النوري، حسين الطبرسي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ، ج٦ ص ١٠٣
(٣٨) خليل، الدكتور السيد أحمد، دراسات في القرآن، دار المعارف بمصر، ١٩٨٩، ص ١١١
(٣٩) خليل، الدكتور السيد أحمد، دراسات في القرآن، ج٧ ص ١٦٧
(٤٠) ابن ابي الحديد، نهج البلاغة، ج٥ ص١٩٠
(٤١) وليد عبد الحميد خلف، الحقوق الفكرية في الديانات السماوية والتنظير الوضعي، دار المحجة، بيروت، ٢٠٠٧، ص٢٦٥
(٤٢) مصطفى زياد، الفكر التربوي مدارسه وإتجاهات تطوره، دار المحجة، بيروت، ص٠٠٥، ص ٢٤.
(٤٣) وليد عبد الحميد خلف، الحقوق الفكرية في الديانات السماوية والتنظير الوضعي، المصدر السابق، ص٢٦٧.
(٤٤) القمي، عباس بن محمد رضا (ت، ١٣٥٩هـ)، سفينة البحار، الطباعة والنشر المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٨٩هـ:ج٣ ص ٦١
(٤٥) عماد محمد محمد عطية، تطور الفكر التربوي عبر القرون، دار الاميرة، بيروت، ٢٠٠٦ ص٢٠
(٤٦) د. سعيد اسماعيل علي، اصول التربية الإسلامية، دار الاميرة، بيروت، ٢٠٠١ ص ٢٢.
(٤٧)النوري، حسين الطبرسي (ت١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، التحقيق والطباعة والنشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ايران، ١٤١٢هـ، ج٤ ص١٧٨
(٤٨) د. سعيد اسماعيل علي، اصول التربية الإسلامية، المصدر السابق، ص ٢٣
(٤٩) السيد محمد العوادي، تربية الاطفال في ضوء الكتاب والسنة، المصدر السابق، ص١٧
(٥٠) الحر العاملي محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ١٤٢٤هـ ج٨ ص١٠٣.

قائمة المصادر والمراجع

١. إبراهيم انيس، المعجم الوسيط، دار الكتب العلمية، بيوت، ٢٠٠٨ م
٢. اسماعيل الصدر، محاضرات في تفسير القرآن الكريم، تح: سامي الخفاجي، دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٤م.

٣. الآلوسي، أبو الثناء السيد محمود بن عبد الله (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر - بيروت، ١٩٧٨م: ٢٧/٩.
٤. البحراني، هاشم، تفسير البرهان، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠٠٤
٥. البحراني يوسف بن أحمد (ت١١٨٦هـ)، الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، تحقيق: محمد تقي الايرواني، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠٥
٦. البقري، أحمد ماهر، دراسات في القرآن، مؤسسة شباب الجامعة، ألا سكندرية، ١٤٠٢ هـ-١٩٨٢ م.
٧. جمال الدين عياد، بحوث في تفسير القرآن، دار الحمامي، مصر - ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١م
٨. جمعة امين عبد العزيز، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، دار الدعوة، ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٩. الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب - مصر، ١٩٨٥م
١٠. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار الاعلمي، بيروت، ٢٠٠٩
١١. الحر العاملي محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ١٤٢٤هـ
١٢. الحراني، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة (١٣١٣هـ)، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠١٢م
١٣. ابن خلكان: أبو العباس أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة - لبنان.
١٤. الزمخشري: ابو القاسم، جار الله محمود بن عمر الخوارزمي، (ت: ٥٣٨ هـ). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣م.
١٥. الطباطبائي: محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م
١٦. الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت: ٦٢٠هـ)، الاحتجاج، تعليق وملاحظات: محمد باقر الخرسان، دار النعمان - النجف الأشرف، ١٩٦٦ م، ٢.
١٧. عبد الرحمن بدوي، شهيدة العشق الإلهي - رابعة العدوية، مكتبة النهضة المصرية، ط٢ (١٩٦٢م).
١٨. عماد محمد محمد عطية، تطور الفكر التربوي عبر القرون، دار الاميرة، بيروت، ٢٠٠٦
١٩. الغزالي، إحياء علوم الدين - كتاب تهذيب الأخلاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣
٢٠. فضل الله: عبد المحسن، الإسلام وأسس التشريع، بحث مقارن، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
٢١. ابن منظور: محمد بن مكرم (٧١١هـ)، لسان العرب: تح: عامر أحمد حيدر، ط٥، دار الكتب العلمية، بيروت - ٢٠٠٥م
٢٢. اليزدي، محمد تقي مصباح، اسئلة وردود، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٤م.